

## المبدأ 40

لا تقطع غصناً حتى أرومته،  
فما تبقى منه يكون مرتبة تسلق لأعلى!

### المغزى:

في بعض الأحيان يكون التغيير ولدى كثير من الناس أمراً مرفوضاً، ذلك أن الناس تتراح لما اعتادت عليه من مألوف العادات والطقوس، وأي إفراط في هذا المألوف قد يخلق قلقاً ما عندهم تجاه من ينسفه. لهذا يحرص القادة العظماء ورواد السلطة على عدم التقليل من أهمية احترام الموروث لدى جماهيرهم، فلا يدعون السحر المغوي لأفكارهم الجديدة يلبد مناخ علاقاتهم مع أنصارهم كي لا يحدث ذلك ابتعاداً أو حالة تمرد وغيان من الجماهير ضدهم، وسر ذلك أن الماضي يكون لدى بعضهم قوياً بل مقدساً، لأن العادة والتاريخ يضيفان على أي عمل وزناً وقيمة، فعندما تسف أنت هذا «الموروث» وعندما تدمره قد توجد فراغاً موحشاً يزعجهم. لذا يجب عليك أن تُوَجد البديل المُقنع

والمرغوب لتتجنب إثارة المخاوف، ويمكنك أن تستعير من موروثهم شيئاً ما وتعيد قلوبته وعصرنته كي تخلق حضوراً مريحاً يبدد الهواجس. كلنا ندرك أن الماضي ولى وأصبح مدفوناً ولكن بالنسبة للبعض لا زال يسكن فيهم، فإن لم تستطع أن تنتزعه منهم بالقوة انتزعه بالسياسة، في أن تعيد إحياء الماضي الميت بأعمال جليلة وجديدة، فالماضي يمكن تشبيهه بنص ثمين عليك قراءته بشكل دقيق ثم استخراج منه إشارات بسيطة (شعار، فكر قديم، مأثور ديني، طقس اعتقادي...) لتدعم به سلطتك الحالية. امتدح التقليد شفوياً وحدد في ثورتك العناصر التي تبدو وكأنها تُبنى على ماضٍ وقل الأشياء الملائمة، أظهر امتثالك للعرف بشكل بارز، بينما خلف الستارة في أعماقك دع نظرياتك وأفكارك تعمل عملها الجذري نحو التغيير.

## المثال

بهذا السياق تروي مروى واقع حالها مع زوجها بالقول: « قبل الزواج كان يبدو متحمساً إلى أقصى حد للمرأة وحقوقها سيما حين كان يستشهد بأقوال المفكرين المناصرين لدور المرأة في المجتمع، و لكن بعد الزواج عرفت أن ذلك الحماس الزائد لا يعني الاقتناع الأكيد بجودى أفكار المصلحين الاجتماعيين، وإن تأييده لم يكن سوى مجرد تعبير لفظي مبدئي. أخذت لأحظ زوجي يُحصي علي لحظات وقوفي أمام المرأة، معبراً عن فقد

صبره بسيل من التعليقات الساخرة عن المرأة وكيف أنها مهووسة بمظاهر واهتمام بالشكل، وأن لا فرق - بالنهاية - بين ربة المنزل وأستاذة جامعية، فالمرأة واحدة في كل الأحوال بنظره. وإذا ما تحدثت مطولاً في الهاتف مع صديقاتي سرعان ما يضيق ذرعاً وكأنه يريدني أن أبعد عن الاهتمامات النسائية ولا أناقش إلا في المسائل الجادة.. لقد وصل به الأمر أخيراً إلى معارضتي عندما أخبرته عن رغبتني بأن أقيم حفلة لمناسبة الميلاد الأول لابنتنا.. فهو يعتبرها من الأمور التافهة وأنا أرى أنه من حق ابنتنا الاحتفال بعيد ميلادها كسائر الأولاد ما دمنا قادرين على ذلك، إلا أنه ما زال معانداً للفكرة فهو لم يحتفل يوماً بعيد ميلاده ويشعر إذا وافق على إقامة عيد ميلاد ستليها طلبات وأمور أخرى هي بالنسبة له على شيء من السطحية التي لا يؤمن بها.. إزاء ذلك لا أدري ماذا سأفعل فأنا - تتابع مروى حديثها - لا أريد أن أسبب شرخاً لحياتنا العائلية إما إرضاءه وإما معاندته..»

إذا كان الاحتفال بعيد الميلاد هو القضية لهان الأمر، لكن المسألة أبعد من ذلك، فزوج مروى ينتمي إلى فكر تقليدي محافظ، هو إنسان - وعلى ما يبدو - جدي، يرى في مسألة مساواة المرأة بالرجل مزحة وأن قضية التمدن ليست «عيد ميلاد» وأن تحرير المرأة من العيشة لا يبدأ من تنظيم سلوكها بل من تعزيز وعيها.. يبدو أن

هذا الزوج لا يواكب العصر بل لديه «نوستالجيا» خاصة في عالمه، يقطع الأغصان حتى منابتها، الأمور بالنسبة له إما إرضاء وإما معاندة، بينما المطلوب هو قليل من الليونة مع المواقف المستجدة والمواءمة مع روح العصر حتى لا يفتدو طائراً يفرد خارج السرب.

### ■ الملخص:

راقب روح العصر فإن كنت تعمل في زمن جيّاش بالاضطراب فإن العودة إلى الماضي فيه شيء من الحكمة لتدعيم سلطة، أما إذا كان الزمن فيه شيء من الركود فالعب ورقة الثورة من خلال الفنون واستقدام التكنولوجيا فهي مجالات تعزيز سلطة عبر خلق حالة انفصام بين ماضٍ متفنّن وركب حضاري جديد قادم. وكلما أحسنت مواءمة «المستجدات» مع التطلعات وأشبعت الرغبات، كلما ضمن لك ذلك مكانة بين الجماهير.

### ■ المرادف:

■ لا سياج يطوق الزمن الذي مضى، ففي وسع المرء أن يعود إليه ويحصل على مراده إن تذكره جيداً.

■ إذا كنت عازماً على التسلق فعليك أن تمسك بالأغصان لا بالأزهار.

(هيد بارك)

■ إذا لم تستطع الكلام عن مشكلة ما، فإنك لن تستطيع أن تعالجها..